

بقلم : الدكتور أحمد تفاسكا، مدير ومؤسس مجلة «الأرض والحياة»، البريد الإلكتروني: terre vie@menara.ma

Par: Dr Ahmed Tafasca; Fondateur et Directeur de la Revue "Terre et Vie"; E. mail: terre vie@menara.ma

أيها الزائر الكريم: بين يديك، في هذا الموقع، عمل استغرق إعداده أكثر من ثلاثين سنة، وتطلب الاستعانة بمئات المراجع وآلاف الوثائق، ومع ذلك يبقى في نظري عملا متواضعا يحتاج إلى جهد متواصل لإغنائه وتنقيته بمعلومات جديدة.

ولدت الفكرة في مطلع السبعينات من القرن الماضي، وأنا أحضر بحثا حول «تطور الحركة العمالية في المغرب 1939-1919» لنيل دبلوم الدراسات المعمقة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية - شعبة التاريخ - جامعة الجزائر العاصمة (طبع في دار ابن خلدون - بيروت 1980). فخلال هذا البحث تبين لي باللموس أن الصحافة تسير لأن تصبح مرجعا أساسيا، لامناص منه في أي بحث جدي، فقررت أن أجعل من جرد للصحافة الصادرة في المغرب خلال فترة الاستعمار بحثا يتغذى من جميع ماسأقوم به لاحقا من أبحاث أكاديمية أو غيرها، ومن مختلف ما يصادفني في قراءاتي المختلفة.

ومن أهم الأبحاث التي رافقها هذا الموضوع بحث حول «الاتحاد الوطني للقوات الشعبية 1972-1959» لنيل دبلوم الماجستير في العلوم السياسية والإعلامية من معهد العلوم السياسية والإعلامية بجامعة الجزائر، في نهاية السبعينات، ثم «نظام الاتصال في المغرب»، لنيل دكتوراه الدولة من كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية من جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء سنة 1988، إضافة إلى دراسات إعلامية واجتماعية وتاريخية أنجزت في إطار ندوات وطنية أو إقليمية أو دولية.

وابتداء من 1988 أصبح موضوع الصحافة في المغرب في عهد الحماية هو مصدر أبحاث أخرى، أي أنه أصبح هو الذي يغذي الأبحاث التي أنجزتها بعد ذلك، وأهمها «الفلاحة الكولونiale في المغرب 1956-1912» (طبع سنة 1998 بدعم من المعهد الوطني للبحث الزراعي بالمغرب)، و«أزمات الاقتصاد الكولونالي 1956-1912»، الذي لم يكتب له أن يطبع لأسباب مالية، و«تربية المواشي بالمغرب في مرحلة الاحتلال الفرنسي»، الذي يوجد في طور الإنجاز.

وأمل من هذا العمل المتواضع أن أضع أولا بين أيدي الباحثين هذا التراث المرتبط بالتاريخ المغربي، مع نبذة عن تطوره ومكوناته. وثانيا أن أضع بين أيديهم قاعدة من المصادر، في مختلف القطاعات، لاستغلال مخزونها المعرفي وطنيا وقطاعيا لإغناء البحث العلمي بخلفية تاريخية نحن في أمس الحاجة إليها في مختلف المجالات.

ونظرا لما يتطلبه هذا العمل من إمكانيات مادية ضخمة لترجمته إلى طباعة ورقية (من المتوقع أن يتطلب أكثر من أربعة آلاف صفحة) فضلت الطباعة الرقمية ليس لأنها غير مكلفة ولكن لأنها أقل تكلفة من الورق، بفضل ما تتيحه تكنولوجيا الاتصال الحديثة وشبكة الأنترنت.

وقد ارتأيت نشر مواد هذا البحث على الموقع تبعا لتطور إعداد مواده، لتمكين الزوار من استغلال ما هو متاح منها. وآمل أن تكون وتيرة إعداد هذه المواد للنشر سريعة.

وأمل أن أتلقى من زوار الموقع الكرام ملاحظاتهم واقتراحاتهم وآرائهم بخصوص الموقع ومضمونه، وسأكون سعيدا بمساهماتهم في تحسين وتنقية وإغناء محتوياته، مع التذكير أنني أنجزت هذا الموقع بإمكانياتي التقنية البسيطة، إمكانيات وتقنيات الهواة المبتدئين.

ولجميع الذين ساهموا في إنجاز هذا البحث وترسيخه في وجداني ليرافقني أكثر من ربع قرن دون ملل ولاندم، أقدم خالص شكري وتقديري للأحياء منهم، وأخص منهم بالذكر أستاذي الجليل الدكتور جمال قنان، أطال الله في عمره، الذي كان لي خير موجه طيلة إشرافه على بحث تطور الحركة العمالية، نقطة انطلاق فكرة هذا العمل، وأنحني احتراما لذكرى الأموات منهم، وأخص منهم بالذكر المرحومين، عبد الحميد الراجي، أستاذ العلاقات الدولية، وأحد مدراء معهد العلوم السياسية والإعلامية، بجامعة الجزائر، وألبير عياش، الفرنسي الجنسية والجزائري المولد والمغربي في النضال، حيث قضى بجانب الطبقة العاملة بالمغرب أجمل فترات عمره، أستاذا مكونا للأجيال، ومسؤولا نقابيا، وكاتب مؤرخا اجتماعيا، وترك بصمات لن تمحى على الكتابة التاريخية والاقتصادية بالمغرب.

كما أقدم جزيل شكري إلى جميع أطر ومستخدمي المكتبة الوطنية بالرباط، العاملين منهم والمتقاعدين، الذين احتضنوني منذ ربع قرن، كل من موقعه، وقدموا لي من الدعم كل ماستطاعوا وأكثر، وأمنوا لي كل أسباب الراحة لإتمام بحث كانوا يدركون أهميته ومشاقه. وآمل أن أكون قد حققت جزء مما كانوا ينتظرونه. وإلى الدكتور جمال الهلالي الحصريني على دعمه المعنوي والتقني لوضع تصميم هذا الموقع.

الدكتور أحمد تفاسكا

الرباط في: 16 يونيو 2006